أين سقط؟

هل سبق وان شاهدت قطعة حديد تعوم؟ تجيب «كلا، هذا غير ممكن». يقول اخر «لم ارَ قط شيئاً مثل هذا». يقول ثالث «ولا حتى اي شخص اخر». لكن تمهّل، أليس في هذا شيء من المبالغة؟ لو عاش احدهم على الارض منذ خلق الانسان الى الان، وكان في كل مكان في العالم، ربما سنستمع الى ما سيقوله. لكن طالما انت وانا لم نشاهد حديدا يعوم، هذا لا يعني بالضرورة ان احدهم لم يشاهد ذلك. لو آمنّا فقط بما رأته اعيننا لما استطعنا ان نثق بما قاله لنا ذوينا، وذلك سيكون خطأ.

قبل مئات السنين، وقبل ان يعيش الرب يسوع على هذه الارض **كأنسان** كانت هناك مجموعة من الشبّان والفتيان، يدعون بـ «اولاد الانبياء» عاشوا سوية في بيت واحد على مقربة من نهر الاردن. وكان عددهم يزداد الى درجة ان البيت أصبح صغيرا جداً عليهم. جاءوا بعد ذلك الى نبي، يدعى «رجل الاله» وقالوا له «فَلْنَذْهَبْ إِلَى الأُرْدُنِّ وَنَأْخُذْ مِنْ هُنَاكَ كُلُّ وَاحِدٍ خَشَبَةً، وَنَعْمَلْ لأَنْفُسِنَا هُنَاكَ مَوْضِعًا لِنُقِيمَ فِيهِ». فقال لهم: «اذْهَبُوا». لكن واحد قال: «اقْبَلْ وَاذْهَبْ مَعَ عَبِيدِكَ» فقال: «إِنِّي أَذْهَبُ.»

نلاحظ شيئين صالحين في طرق هؤلاء الشبّان. الأول، انهم لم يتصرّفوا دون استشارة «رجل الاله». ثانيا، انهم تمنّوا لو كان معهم. لذا كانوا اسعد مما لو ذهبوا بدون نصيحته او حضوره. وعزيزي القارئ، لا تخجل مطلقا من ان تطلب النصيحة والارشاد من ذويك ومعلميك. بفعلك هذا ستكون حكيما وسعيدا الان، وفي الايام القادمة ستكون فرح جداً لحوضك هكذا تمرين. ستكون شخصيتك اقوى، وسوف تحظى باحترام الاخرين.

لقد ابتدأ العمل بقطع اخشاب الاشجار للبيت الجديد. كم هو مُسر رؤية هذه المجموعة السعيدة وهي تعمل في الهواء الطلق، كل واحد يقوم بعمله والجميع يعملون سوية، وفرحين بمرافقة افضل صديق لهم على الارض! كانت اصواتهم اليافعة، ممتزجة برنين فؤوسهم، تحدث صوتا بين الاخشاب، ومن ثمّ يُسمع صوت انهيار شجرة وبتر شجرة اخرى.

فجأة، كان هنالك صوت من نوع اخر — صوت رشق ماء شديد، متبوع بصراخ. رأس فأس كان قد سقط في الماء، وتلاشى عن الانظار. الشاب الذي يستخدمه هو «مستاء جداً»، كما نقول، لان الفأس قد أُعير له. أعتقد ان هناك ثلاث اشياء جعلته يصرخ ويستغيث «آهِ يَا سَيِّدِي!»:

ا. الشيء الذي فقده لم يكن عائداً له

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved

ب. كيف كان سيواجه الصديق الذي اعاره الفأس؟
ج. لم يعد يقدر الان مد يد المساعدة في العمل

أليس شيئا مبهجاً لو كل الناس كانوا حساسين هكذا ازاء الاشياء المستعارة؟ لكن اريد ان اذكرك بأنك لست لنفسك. الرب قد جبلك ولديه حق عليك، لكن مثل رأس الفأس، انك ساقط ومفقود. هل انت مضطرب ازاء هذا؟ هل تعتقد انه بمقدورك ان تعمل للرب الان، وتواجهه في «ذلك اليوم الاتي»، ما لم انك «توجَد» وتُعاد الى الرب. ربّما تساءل، «كيف يكون ذلك؟»
لنواصل القراءة. «فَقَالَ رَجُلُ الإِلهِ: «أَيْنَ سَقَطَ؟» فَأَرَاهُ الْمَوْضِعَ، فَقَطَعَ عُودًا وَأَلْقَاهُ هُنَاكَ، فَطَفَا الْحَدِيدُ». ربّما تصرخ بقوة وتقول «انها معجزة». بالطبع، كان هذا عمل الرب.
لكن هذه صورة من عمل أعظم بكثير. الغصن الذي قُطع من شجرة حيّة لم يعد حيّا بعد. هذا يذكّرنا بالرب يسوع الذي «قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ» (اشعياء ٥٣: ٨)، عندما صُلب. «يُقْطَعُ الْمَسِيحُ وَلَيْسَ لَهُ» (دانيال ٩: ٢٦). السقوط في الماء يُخبر عن الذي ذهب تحت كل امواج غضب الاله، عوضاً عن الخطاة المساكين، وكما طُرح الى المكان نفسه الذي سقط فيه رأس الفأس، فانه هكذا جاء الرب يسوع الى العالم، حيث سقط الانسان، واخذ مكانهم المذنب. الم يكن ذلك محبا ورحيما من جهته؟
آه، كم كان مريحاً لذلك الشاب الحبيب سماعه لهذه الكلمات «ارْفَعْهُ لِنَفْسِكَ». نعم، لكنها ليست كراحة البال التي يعرفها الخاطئ، عندما يقول له الرب، «مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ».
لوكان بمقدور رأس الفأس ان يتكلم، لقال: «كنت ضالاً ولكني وجدت. كنت مدفونا في غمر المياه وبلا فائدة. لكني الان في يد شخص قادر ان يستخدمني. كم انا سعيد».
«أَرْسَلَ مِنَ الْعُلَى فَأَخَذَنِي. نَشَلَنِي مِنْ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ.» (مزمور ١٨: ١٦).
بامكان كل شخص مُخلّص ان يشهد هكذا، صغيرا كان ام كبيرا، الكل بسبب «أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ» (١ تيموثاوس ١: ١٥).
عزيزي القارئ، هل انت مُخلّص وفي يد الرب لكي تُستخدم من قبله لبناء بيته؟

اقرأ ٢ ملوك ٦: ١-٧

تأليف: أي.ك.
تعريب: ف.ا. بنعمة الاله

(c) 2015 heshallcome.com All Rights Reserved